Bible Study

The Second Epistle of St. Paul to the Thessalonians

رسالة معلمنا بولس الرسول الثانية إلي أهل تسالونيكي

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي

الاصحاح الأول: افتخار القديس بولس بشعب تسالونيكي

"بولس وسلوانس وتيموثاوس إلى كنيسة التسالونيكيين في الله أبينا والرب يسوع المسيح. نعمة لكم وسلام، من الله أبينا والرب يسوع المسيح" [1 - 2]

- لم يكن ممكنًا للقديس بولس صاحب القلب المتسع وهو يكتب هذه الرسالة لكي يصحح المفاهيم الخاطئة بخصوص مجيء الرب الأخير، ويوصي ويوبخ من أهملوا أعمالهم اليومية، إلا أن يبدأ كعادته بالشكر لله من أجل ما يراه فيهم ناميًا في الروح، كاشفًا لهم الجوانب الطيبة في حياتهم الروحية، معلنًا لهم افتخاره بهم حتى يسندهم ويشجعهم! إنه في أبوة روحية صادقة يعرف كيف يشجع قبل أن ينتهر، ويعين الضعفاء حتى في لحظات توبيخهم.

- لم تختلف هذا الافتتاحية عن تلك التي وردت في الرسالة الأولي، لأن ظروف الكنيسة من جهة الضيقة المحيطة بها كانت لا تزال كما هي. إنه يراها الكنيسة الثابتة في السيد المسيح، غنية ومقدسة وممجدة وسط آلامها، لها موضع في حضن أبيها السماوي خلال اتحادها برأسها **"الرب يسوع المسيح"**.

"ينبغي لنا أن نشكر الله كل حين من جهتكم أيها الإخوة كما يحق، لأن إيمانكم ينمو كثيرًا، ومحبة كل واحد منكم جميعًا بعضكم لبعض تزداد" [3]

- يفتتح القديس بولس رسالته بالكشف عن شعوره بالالتزام بتسديد الدين لله، بتقديم ذبيحة شكر لله من أجل عمل الله لا في حياته الخاصة فقط، إنما في حياة "الإخوة"، أولاده الروحيين أيضاً.
- هكذا يفرح الأب الروحي بنمو أولاده الروحيين في الرب، فتمتلئ حياته بالشكر لله بكونه مصدر كل عطية صالحة وواهب الحياة الفاضلة.
- يقدم القديس بولس الشكر "كل حين"، وكأن النقائص والضعفات لم تنزع عن قلبه حياة الشكر لحظة واحدة، إذ صارت حياته حياة شكر بلا انقطاع.
- يمكننا أيضاً أن نقول أن الشكر في حياته لم يكن مجرد كلمات يرددها بشفتيه بين حين وآخر، أو تسابيح يترنم بها من وقت لآخر، وإنما كان الشكر يمثل طبيعة تمس إنسانه الداخلي الذي يسبح الله بلغة الروح التي لا تتوقف.
- خلال هذا المنظار الروحي المبهج رأي في أهل تسالونيكي نجاحهم في أساسيات الحياة المسيحية: الإيمان والمحبة والرجاء. هذا النجاح سبق فأعلنه أكثر من مرة في رسالته الأولى لهم، كأن يقول: "متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم" (1 تسالونيكي 1: 3).

- فمن جهة الإيمان يقول "لأن إيمانكم ينمو كثيرًا" [3]. لم يكن هذا بالأمر الغريب أن يعلن لهم عن نمو إيمانهم كثيرًا وهم وسط الآلام. فإن الإيمان، كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم يظهر متزايدًا خلال عواصف التجارب الشديدة وأمواجها. فإذ تهب الرياح الشديدة تتمرّر نفس المؤمن فيه ولا يجد له ملجأ إلا أن يختفي في مسيحه، ليدخل معه وفيه إلى بستان جثسيماني وينحني بالتمام أمام الآب، يصرخ ويئن. يدخل المؤمن في رؤيا جديدة يراها في أعماله التى ما كان يمكنه أن ينعم بها خارج الألم ولو قضى سنوات طويلة في عبادات مستمرة. إن الضيق، من أجل السيد المسيح، هو انفتاح لنفس المؤمن للتمتع بأعماق جديدة في صليب الرب ودفنه وقيامته، فيزداد إيمانه كثيرًا جدًا.
- ومن جهة المحبة يقول: "ومحبة كل واحد منكم جميعًا بعضكم لبعض تزداد" [3]. إن كان الإيمان هو أساس الحياة المسيحية ومدخلها، فإن الحب هو مجدها، بكونه ثمر الروح (غلاطية 5: 22) الذي لا يسقط أبدًا (1 كورنثوس 13: 8). إن كانت الضيقة أعطت لأهل تسالونيكي نموًا في الإيمان، فإنها بالأكثر ألهبت قلوبهم بالحب. ففي أتون الضيق يلتقي المؤمن بالمصلوب، لا ليراه فحسب، وإنما ينعم بفكره، فيحمل في داخله اشتياقًا روحيًا ملتهبًا أن يقدم حياته من أجل كل إنسان كما فعل سيده.

"حتى أننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كل كنائس الله من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها" [4]

- في الرسالة الأولي أعلن لهم القديس بولس أنه بسبب صبرهم في الضيقة صاروا قدوة للساكنين في مكدونية وأخائية، بل وأذيعت كلمة الله في كل مكان خلال حياتهم الحيّة حتى لم يكن له أن يتكلم عنهم، أما وقد طالت فترة الاضطهادات واشتدت عليهم الضيقات شعر بالمجد المتزايد الذي ينسب إليه بسببهم، فصار يفتخر بهم. حقًا إن مجد الكاهن أو الخادم يكمن في إيمان أولاده الروحيين في الرب، معلنًا عمليًا خلال الصبر برجاء وسط الضيق.

- هنا يربط القديس بولس الصبر بالإيمان، فإن كثيرين لهم قوة احتمال بالطبيعة، لكن هذه السمة سرعان ما تخور حينما يسقط الإنسان تحت الظلم.

- أما الإيمان فيفتح العينين بالرجاء في دينونة الله العادلة ليتقبل من المصلوب صبره، ويشاركه سمته، فيفرح بالضيق كمجدٍ له، ملتهبة أعماقه بالشوق نحو اليوم الأخير. موضوع فخر القديس بولس هو "الصبر" الذي اتسم به تلاميذه الروحيين، بكونه مشاركة عملية وصادقة في آلام السيد المسيح وصلبه. هذا هو الكنز الذي اعتزت به الكنيسة في عصر الاستشهاد المبكر وحتى الآن.

"اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها... بينة على قضاء الله العادل أنكم تؤهلون لملكوت اللَّه الذي لأجله تتألمون أيضًا" [5]

- يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذا القول الرسولي بأن الإنسان الطبيعي في وسط الضيق والظلم يثور في قلبه شوق نحو النقمة من الظالمين، لكن المسيحي تلتهب مشاعره بانتظار الدينونة العادلة لنواله ملكوت اللَّه الأبدي، وتمتعه بالأمجاد السماوية.

- المؤمن الحقيقي حينما يسقط تحت الظلم لا يطلب النقمة الإلهية من الظالمين، وإنما يتهلل فرحًا بحمله الصليب، وتسمو مشاعر الفرح فوق المرارة لتعلو بالإنسان إلى الأمجاد. أما من جهة الظالمين، فهو يكره الظلم، ويشعر بضعف الطبيعة البشرية التي يستخدمها الشيطان، عدو البشرية كلها، أداة لظلم الإنسان لأخيه، مشتاقًا أن يرى الظالمين وقد تحرروا من عبودية الظلم والقسوة، لينعموا بملكوت الحب الأبدي.

- بهذه النظرة الإيمانية يتقبل المؤمن الألم لا في استسلام وخضوع، وإنما بروح القوة والحب، متطلعًا إلى المجد الأعظم الذي يشتهيه لكل بني البشر.

"إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقًا. وإياكم الذين تتضايقون، راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته" [6 - 7]

- لم يقل "لأنه عادل" وإنما **"إذ هو عادل"** وكأن القديس بولس يقرر حقيقة لا تحتاج إلى نقاش، وهي أن الله يجازي المضايقين ضيقًا إن أصرّوا على موقفهم بلا توبة. لقد كان القديس بولس نفسه يومًا يقاوم الكنيسة ويضايقها، لكنه إذ فعل ذلك في جهالة، وإذ قبل الحق عندما أشرق عليه، تقبلته رحمة الله الغافرة لا ليتخلّى عن مضايقته للمؤمنين، وإنما ليتقبل بفرح مضايقة الأشرار من أجل الإيمان. وكما قال الرب عنه لحنانيا: **"لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل، لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي" (أعمال 9: 15)**.

- ولكي ينعشهم وسط ضيقتهم، فتح أعينهم على استعلان ربنا يسوع المسيح من السماء. ففي العالم عُلق السيد المسيح على الصليب بينما كان الأشرار هم أصحاب السلطان. وللأسف كان أصحاب السلطان الديني كرؤساء الكهنة والكهنة والكتبة والفريسيين.. الخ، أكثر عنفًا.

- لم يكن منظر المجد الأبدي والراحة السماوية يفارق عيني القديس بولس، ففي قوله **"راحة معنا"** إنما يقول: مجيئه الأخير هو سرّ راحتنا نحن الرسل، وهو سرّ راحتكم، ستكونون معنا لننعم جميعًا بالملكوت عينه. في هذا اليوم يأتي الرب مع **ملائكة قوته**، فتشتركون ونحن معكم مع الطغمات السماوية في الحياة العلوية الممجدة كإعلان لقوة الرب. وهو يلقب الملائكة القادمين مع السيد المسيح في يوم مجده الأبدي **"ملائكة قوته"**. وكأنه يود أن يقول لهم: لقد دعيتم هنا للحياة الملائكية. لكن وسط الضيقات تظهرون كمن في ضعف، وستأتون أنتم أنفسكم مع الملائكة كأناس روحيين وأولاد لله وورثة مع ملائكة قوته! إن الضعف الذي يعيشونه الآن وسط أتون الضيق إنما هي البذار التي تُلقى في الأرض في ضعفٍ، لتأتي بثمرٍ كثير في قوة.

- إن السيد المسيح بضعف الصليب أظهر ما هو أعظم من القوة، مقدمًا للبشرية الطبيعة الجديدة على صورة الخالق، رافعًا إيّاها من انحطاطها وفسادها إلى العلو السماوي، فإننا بالاتحاد معه ننطق خلال ضعف الصليب إلى قوة القيامة وأمجادها. العجيب أنه وهو يكتب هذه الرسالة ليصحح خطأهم من جهة ظنهم أن يوم الرب قد اقترب جدًا، فأهملوا أعمالهم اليومية، إذ به يحدثهم عن شوقه لهذا اليوم، واضعًا إيّاه نصب أعينهم **كدافع لجهادهم وسط الضيقات، دون إهمال أعمالهم اليومية**.

"في نار لهيب معطيًا نقمة للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح" [8]

- يرى القديس بولس ربنا يسوع قادمًا في ملكوته الأبدي في **"نار لهيب"** يحرق أعداءه، وكما يقول المرتل: **"يأتي إلهنا ولا يصمت، نار قدامه تأكل، وحوله عاصف جدًا"** (مزمور 50: 3)، **"قدامه تذهب نار وتحرق أعداءه حوله"** (مزمور 97: 3)، **"لأن الرب الهك هو نار آكلة إله غيور"** (تثنية 4: 24)، **"لأن إلهنا نار آكلة"** (عبرانيين 12: 29). إنها نار العدل الإلهي التي لا تطيق الشر بل تبيده، فتحل النقمة على الذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيله المقدس.

- لماذا يكتب القديس بولس عن النقمة الإلهية؟ هل في هذا ما يعطي الذين في ضيقة والساقطين تحت الظلم راحة؟ لست أظن أن القديس بولس صاحب القلب المتسع بالحب لكل البشر، الذي يشتهي خلاص كل نفس في العالم، يقصد هذا. وإنما أراد أن يعلن حقيقة واقعة تحدث سواء اشتهاها الظالم أو رفضها، وهي أن الذين يصنعون الظلم ويصرون عليه يجتنون ثمرته الطبيعة كنقمة إلهية.

- الذين يختارون الفساد يحل بهم الفساد ليبيدهم، والذين يضايقون الغير ظلمًا يُكال لهم بذات الضيق والظلم، كقول القديس بولس نفسه: **"الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقًا"** [6]. فما يحدث للأشرار كنقمة إلهية ليس موضوع شهوة المؤمنين، ولا المؤمنون هم السبب في مجازاتهم، وإنما جهل أو عصيان الأشرار هو السبب.

- فبالنسبة للأمم الذين لا يعرفون الله يسقطون تحت الجزاء بسبب ظلمة جهلهم الذي يصرون عليه، أما الذين صارت لهم معرفة بالإنجيل فقبلوه في فكرهم دون حياتهم، فإنهم يسقطون تحت النقمة بسبب عصيانهم، وكأن الله يدين الأشرار، سواء كانوا من الأمم أو المؤمنين العصاة.

- وقوله: **"لا يطيعون إنجيل ربنا"** يشمل جماعة اليهود الذين رفضوا الإنجيل بالرغم من وجود النبوات بين أيديهم، فصاروا في زمرة العصاة غير الطائعين للإنجيل المكتوب في نبوات العهد القديم والذين فسروا الانجيل حسب هواهم وميولهم الخاطئة.

- حديث القديس بولس عن النقمة الأبدية لا يعطي المؤمنين راحة داخلية بسبب سقوطهم تحت ظلم الأشرار، وإنما يهبهم حذرًا داخليًا لئلا يسقطوا هم تحت النقمة.

- فإن كانوا يسقطون حاليًا تحت الظلم، فهذا الضعف يثمر قوة، لكن إن انحرفوا هم إلى الظلم يحسبون كمن هم بلا معرفة لله وعصاة لإنجيل ربنا يسوع، فيسقطون تحت العقوبة الأبدية.

"الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته. متى جاء ليتمجد في قديسيه وَيُتَعَجَّبَ عنه في جميع المؤمنين، لأن شهادتنا عندكم صُدِّقَتْ في ذلك اليوم" [9 - 10]

- يصف القديس بولس الهلاك الذي يسقط تحته الأشرار أنه **هلاك أبدي** لا رجعة فيه ولا توقف له، يتحقق بظهور الرب نفسه وإعلان مجده الأبدي.
- كأن إعلان وجه الرب وظهور مجد قوته فيه هلاك طبيعي للأشرار، كالنور الذي يدين الظلمة ويفضحها مبددًا إيّاها. مجيئه الذي هو سرّ فرحنا ومجدنا وملكوتنا هو بعينه سرّ هلاك الأشرار أبديًا.
- في العالم الحاضر يطلب الأشرار مجد أنفسهم فيظهرون ليختفي وجه الرب عنهم، ويمارسون القوة والعنف إن لم يكن واضحًا في السلوك، ففي القلب وبالإرادة في الداخل، أما في العالم الآتي فيظهر وجه الرب الذي قاوموه فلا يقدروا على اللقاء معه أو معاينته، إذ يقول **يظهر مجد قوة الرب معلنة في ملائكته وقديسيه** وينفضح بطلان الأشرار وضعفهم الكامل. لذلك يُحسب إعلان مجيئه عقابًا للهالكين ومجدًا للقديسين.

- من الذي يتمجد الله أم قديسوه؟ يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [هل يتمجد الله؟ يجيب الرسول: نعم يتمجد في جميع القديسين. كيف؟ عندما يرى المتكبرون أن الذين سبقوا فجلدوهم واحتقروهم واستهزئوا بهم الآن هم قريبون منه جدًا. إنه مجد لله كما هو مجد لهم. إنه مجده ومجدهم معًا! مجد له إذ هو لم يتركهم، ومجد لهم أنهم تأهلوا لكرامة عظيمة كهذه.]
- هذه هي إرادة الله أن يتمجد هو في **عروسه المتألمة**، فتحمل سماته هنا وهناك، إذ يظهر صبره فيها خلال جهادها الروحي ومجده وجماله أيضًا فيها خلال تمتعها بالميراث الأبدي. ففي الصلاة الوداعية كانت كلماته مع الآب هكذا: **"أنا ممجد فيهم" (يوحنا 17: 10)**، **"وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد" (يوحنا 17: 22)**. وجاء في إشعياء النبي: **"تكونين إكليل جمال بيد الرب وتاجًا ملكيًا بكف إلهك" (إشعياء 62: 3)** وفي حزقيال النبي: **"خرج لك اسم في الأمم لجمالك، لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليك يقول السيد الرب" (حزقيال 16: 14)**. فإن كان الله يسكب مجده عليها ويعلن بهاءه في داخلها، ويجعلها في يده إكليل جمال وتاجًا ملكيًا، وهي بعد تسلك على الأرض في هذه الحياة وسط الضيقة والألم، فكم بالأكثر حينما تخرج من عالم الألم لتحيا معه في أمجاده تشاركه ميراثه الأبدي، وتكون في حضرته تلتقي به وجهًا لوجه.

"الأمر الذي لأجله نصلي أيضًا كل حين من جهتكم أن يؤهلكم إلهنا للدعوة، وَيُكَمِّلَ كل مسرة الصلاح وعمل الإيمان بقوة. لكي يتمجد اسم ربنا يسوع المسيح فيكم، وأنتم فيه، بنعمة إلهنا والرب يسوع المسيح" [11 - 12]

- في هذا الحديث الختامي للقسم الأول من الرسالة الخاص بمساندتهم والافتخار بهم لاحتمالهم الآلام والضيقة بشكر، أبرز القديس بولس الجوانب التالية:

1. عمله الدائم من أجلهم حتى في غيابه عنهم حسب الجسد، خلال الصلاة، "كل حين من جهتكم". فالراعي الحقيقي لا يكف عن الصلاة من أجل رعيته، وكما يقول صموئيل النبي: "وأما أنا فحاشا لي أن أخطئ إلى الرب، فأكف عن الصلاة من أجلكم، بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم" (1 صموئيل 12: 23)، حاسبًا النبي توقفه عن الصلاة من أجل شعبه ولو إلى حين خطية يرتكبها ضد الله، وإهمالاً جسيمًا يوقف تعليمه للشعب لمعرفة الطريق الصالح المستقيم فالصلاة والتعليم أمران متلازمان في حياة الخادم بدونهما يخطئ في حق الله نفسه، خلال إهماله في تدبير الشعب وتعليمه. يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن أهمية الصلاة في حياة الكاهن، قائلاً: [إذ أؤتمن الكاهن على العالم كله وصار أبًا لجميع الناس، يتقدم إلى الله متوسلاً في الصلوات الخاصة والعامة من أجل رفع الحروب في كل مكان، وإخماد الاضطرابات، ملتمسًا السلام والهدوء لكل نفس، والشفاء للمرضى.]

2. موضوع صلاته الدائمة عن الشعب هو أن يحسبهم الله مستحقين للدعوة الإلهية. فإن كان الله قد دعاهم للمجد الأبدي بكونهم أولاد الله المختارين، فإنهم محتاجون أن يبقوا، خلال صلاة خادمهم الروحي، ثابتين في هذه الدعوة، فتكمل مسرّة الله الصالحة من نحوهم، ويعلن الإيمان فيهم قويًا خلال العمل. وكأن الله له كل الفضل إذ هو الذي دعاهم للمجد الأبدي، وما على القديس بولس إلا الصلاة عنهم، سائلاً الله أن يعمل فيهم بنعمته، ليتأهلوا للدعوة المجانية، ولكن دون تجاهل الجانب الإيجابي العملي لإيمان الشعب نفسه.

- في كلمات قليلة وبسيطة وبطريقة غير مباشرة أبرز القديس بولس دور الله نفسه ودور الخادم كما دور الشعب في التمتع بالمجد الأبدي. الله هو صاحب الدعوة المجانية، له كل المجد. والكاهن ما هو إلا مقدم صلوات بلا انقطاع يستعطف الله ويستدر رحمته. أما دور الشعب فهو إعلان الإيمان خلال الحب والحديث الدائم مع الله لأنه إله غيور (خروج 20: 5، خروج 34: 14، تثنية 4: 24، تثنية 5: 9، تثنية 6: 15، يشوع 24: 19، ناحوم 1: 2). يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [النعمة دائمًا مستعدة! إنها تطلب الذين يقبلونها بكل ترحيب. هكذا إذ يرى سيدنا نفسًا ساهرة وملتهبة حبًا، يسكب عليها غناه بفيض وغزارة تفوق كل طلبته... يطلب الله منا حجة صغيرة لكي يقوم هو بكل العمل.]

3. إن كان غاية صلوات القديس بولس هي تحقيق إرادة الله فيهم بنوالهم المجد الأبدي، فإن هذا المجد في الواقع هو مجد مشترك، مجد للعريس كما للعروس، إذ يقول: "لكي يتمجد اسم ربنا يسوع المسيح فيكم، وأنتم فيه، بنعمة إلهنا والرب يسوع المسيح" [12]. المجد الذي ينعمون به خاصة في يوم مجيء الرب الأخير هو مجد اسمه القدوس. حينما يقدم السيد مجده لكنيسته إنما يرجع هذا المجد لاسمه القدوس، وكل مجد لاسمه القدوس إنما يعلن فيهم لحسابهم.

- غاية حياتنا أن يتمجد اسمه القدوس، لذا نصلي يوميًا قائلين: "ليتقدس اسمك"، وكما يقول القديس بولس: "لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فيلبي 2: 10 - 11).

- هذا التقديس يتم لحسابنا، إذ نتمجد نحن فيه "لأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة" (عبرانيين 2: 11)، ومعه نملك في المجد كقوله: "إن كنا نصبر فسنملك أيضًا معه" (2 تيموثاوس 2: 12)، "فإن كنا أولادًا فإننا ورثة أيضًا، ورثة الله ووارثون مع المسيح، إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه" (رومية 8: 17).

The Lord is faithful,
who will establish you,
and guard you
from the evil one.

2 Thessalonians 3: 3

"أمين هو الرب الذي سيثبتكم ويحفظكم من الشرير" (2 تسالونيكي 3: 3)